الملك المؤلّه في حضارة وادي الرافدين

أ.د. أكرم محمد عبد كسار
أستاذ الآثار والفن والتاريخ القديم ، رئيس الجامعة المفتوحة في « هولندا »

الملخص :

الملك المؤله في حضارة وادي الرافدين بحث يعالج جانبا حضاريا من جوانب حضارة وادي الرافدين من بداية الألف الثالث قبل الميلاد و حتى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، و لإلقاء الضوء على موضوع حضاري متميز عميق الصلة اجتماعيا و دينيا بتاريخ العراق القديم و ذا صلة بتراثه المادي و الفكري.

فكرة التأليه وبدايتها

التأليه هو اتخاذ الملك الملقب لقب اله ويكون مقدسا وتبني له المعابد[١] علما بان هذا اللقب لم يغير من طبيعة الملك الدنيوية الفانية إلا أن ما يميز الملك المؤله هو كتابة علامة الألوهية التي ترمز لها أمام اسمه التي هي إحدى العلامات الدالة و المستعملة في الكتابات المسمارية إضافة إلى تصويره في النقوش المصورة مرتديا ما يميز الآلهة و ما يعرف بالتاج المقرن.

وقد بدأت فكرة التأليه مع إطلاله العصور التاريخية اعتمادا على الشواهد الأثرية والمدونات الكتابية ، و من الطبيعي أن تواجه هذه الظاهرة بالرفض و الإنكار حتى يمكن تلمس ذلك في نبوءات الفال المتأخرة التي تعزي سقوط الملك نرام – سن إلى تطاوله الديني لان اعتقاد سكان وادي الرافدين بان الملك مهما وصل من التعاظم والقوة إلا انه لا يمكن أن يصل إلى مرتبة الآلهة[٢].

نظام الحكم و تطوره في وادي الرافدين

سيجد المتتبع للاعتقاد الرافدي أن سكان وادي الرافدين دونوا في جداول الملوك هبوط الملوكية من السماء[٣] أول الأمر في مدينة اريدو و بحلول الطوفان عادت إلى السماء ثم نزلت إلى الأرض بعد انتهاء الطوفان في مدينة كيش و بذلك فحسب العقيدة الرافديه القديمة أن السماء هي موطن الملوكية منذ القديم و أن شاراتها من تاج و صولجان و عصا كانت موضوعه أمام الإله انو إله السماء، و من المحتمل أن أصول نظام الحكم تعود إلى فجر التاريخ أي بحدود منتصف الألف الرابع قبل الميلاد[٤]، إلا انه مما يؤسف له عدم توفر النصوص الكتابية عن هذه الفترة مما يؤدي إلى صعوبة البت في نوع الحكم خلال تلك الفترة.

إن اقدم المعلومات التاريخية عن سلطة المجتمع السومري تشير إلى وجود مجلسا عاما يتكون من عامة المواطنين ينتخب رئيسا له في أوقات الأزمات و الحروب و يدعى (EN) أي السيد أو الكاهن الأعلى[٥]، علما بأن هذا المنصب كان دينيا بالدرجة الأولى و هو ممثل الآلهة، و بمرور الزمن وبظهور دويلات المدن السومرية و نتيجة لإشرافه على أراضى المعبد اصبح يتمتع بالإضافة إلى سلطته الدينية بسلطة دنيوية قوية، فبعد أن كان الـ (EN) يسكن في جزء خاص من المعبد يدعى جيبار(Giparu) خرج في منتصف عصر فجر السلالات من المعبد ليقيم في قصر مع حاشية كبيرة يمارس منه بشكل أساسي

الوظائف الدنيوية ولكنه بقي يلعب دورا بارزا في شؤون الدين و المعبد، وقد نقش على أحد الأختام الاسطوانيه من الوركاء موضوعا يمثل كاهنا يقوم بأمور يجمع فيه بين السلطتين الدينية والدنيوية إذ مثل برداءه و عقاله الذي يضعه على رأسه و لحيته الطويله و يقف ممسكا برمح طويل و يركع أمامه أسرى حرب مربوطة أيديهم إلى الخلف[٦].

و في نهاية عصر فجر السلالات تطور منصب(EN) إلى سلطة دنيوية بحقه فأخذ يلقب نفسه بـ (ENSI)[٧] أي أمير أو حاكم المدينة لان البلاد كانت ما تزال مجزاة إلى وحدات سياسية تعرف بدويلات المدن و كان يرأس كل منها حاكم (ENSI) ويعتبر ممثلا لإله دويلة المدينة و المشرف على الأراضي التابعة للمعبد بعد ذلك ظهر لقب (Lugal) (ملك) في أواخر عصر فجر السلالات و لكنه قليل الاستعمال إلا انه بنهاية عصر فجر السلالات شاع استعماله حتى طغى على لقب(ENSI) خاصة بعد القضاء على نظام دويلات المدن السومرية و ظهور الإمبراطورية الاكدية.

الملوك المؤلهون

إن مصدر السلطة في بلاد وادي الرافدين مستمد من الآلهة و هنالك نصوص مدونه تشير إلى ادعاء الملوك باستلامهم للسلطة من الآلهة و فوضتهم في حكم البشرية نيابة عنهم، ، وأن الإله إنليل هو مصدر ملوكية بلاد وادي الرافدين ، لذا لقب بعدة ألقاب منها ملك البلدان وملك الآلهة وملك الجهات الأربعة ، وأن خدمة الآلهة حسب العقيدة الدينية من الواجبات المفروضة على البشر وعلى الحاكم أو الملك أن يعرف رغبات وأوامر الآلهة التي اختارته لحكم البشر ، وهنالك شواهد ونصوص مدونة تشير إلى عدد من الملوك الذين ألهوا أنفسهم إبتداءً من عصر الوركاء وحتى العصر البابلي القديم وهم : دموزي (الراعي) ، لوكال ـ بندا (الراعي) انميركار (الابن) إذ ادعى بأنه إبن الإله اوتو [٨]، جلجامش ، ميزيلم حيث ذكر إنه الابن المحبوب للإلهة ننخرساك ويحتمل أن ولادته كانت نتيجة عملية الزواج المقدس[٩]، علما بأنه حكم خلال عصر فجر السلالات .

وخلال العصر الأكدي ظهر عدد من الملوك المؤلهين وهم : نرام سين ومعناه (محبوب الإله سين) كتب اسمه مسبوقا بالعلامة الدالة على الألوهية واتخذ لقب ملك الجهات الأربعة [١٠]، وتفرد في تمثيله بالمنحوتات بارتداء لباس الرأس ذي القرنين مما يخص لباس الآلهة ويمكن ملاحظة ذلك بشكل واضح في مسلة نرام سين إذ يظهر ببزته العسكرية واضعا على رأسه خوذة ذات قرنين وهي رمز الآلهة ، أما الملك شاركلي شاري فقد ورد اسمه على طبعة ختم أسطواني مسبوقة بالعلامة الدالة على الآلهة[١١] .

وفي العصر السومري الحديث ذكر الملك جوديا بأنه ابن الإلهة كاتومدوك وهذا من المحتمل فيه إشارة إلى عملية التأليه بالرغم من انه لم يرتدي التاج المقرن ولم يسبق اسمه بعلامة الألوهية ، إذ أنه يخاطب الإلهة كاتومدوك في اسطوانة دون عليها :

العمود الثالث : السطر السادس لا أملك أما أنت أمي

السطر السابع لا أملك أبا أنتِ أبي

السطر الثامن لقد اختطفتي بذرتي وولدتيني في المعبد

ولم يذكر جوديا في جميع كتاباته اسم والده الحقيقي بل اكتفى بالادعاء بأنه ننجش زيدا لذلك وصف نفسه بأنه إله مدينة لجش[١٢] .

وفي سلالة اور الثالثة ظهر أورنمو الذي ادعى بأن والدته الإله ننسون التي هي والدة جلجامش[١٣] وقد مثل هذا الملك ومن جاء من بعده من ملوك سلالة اور الثالثة أنفسهم على الأختام الأسطوانية حيث وجدوا انه من الأحرى بهم وهم الملوك المؤلهين أن يحلوا محل الآلهة في مثل هذه المشاهد [١٤]، أما الملك شولجي، فقد حذا حذو الملك الأكدي نرام . سين في استعماله للقب ملك الجهات الأربعة ، وهنالك اشارات إلى انه قد بولغ في في تقديسه إلى حد التأليه والعبادة في أثناء حياته وبعد مماته وكانت القرابين تقدم إلى تماثيله مرتين في الشهر وسمي أحد شهور السنة في التقويم السومري باسمه شولجي المقدس ، وهنالك الكثير من التراتيل الدينية المخصصة لهذا الملك التي خوطب من خلالها بالتمجيد وكأنه إله من الآلهة ، وادعى الملك شولجي بأنه ذو قربى بالإله اوتو (إله الشمس) ، وشيد له معبدا في مدينة نفر [١٥]، أما الملك أمارسين فقد بلغ درجة الألوهية مثل والده الملك شولجي ونصت كتاباته على انه الإله الشمس الذي يهب الحياة إلى البلاد وانه قاضي البلاد ، وأخيرا الملك شوسين رابع ملوك سلالة اور الثالثة فقد أُله أيضا وشيد له الحاكم التابع له المسمى أتوريا معبدا خاصا لعبادته في أشنونا [١٦] .

وفي العهد البابلي القديم فعلى سبيل المثال لا الحصر ظهر عدد من الملوك المؤلهين مثل شو . ايليشو الذي نظمت له التراتيل في مديحه ، والملك أدن . دجان الذي يصف في النص الوحيد الزواج المقدس بإسهاب من خلال تقمصه شخصية الإله دموزي وتقمص الكاهنة شخصية الإلهة انانا ثم الملك اشمي . دجان الذي يذكر بأن الإلهة انانا ملكة السماء والأرض اختارته ليكون زوجها المحبوب وهذا يشير إلى أنه سار على خطى والده ادن . دجان في عملية الزواج المقدس . وكذلك بوزر عشتار من مدينة ماري حيث يظهر مرتديا تاجا مقرنا ، ومن مدينة الدير ظهر نص يعود للحاكم ندنوشا وقد كتب اسمه بالعلامة الدالة على التأليه[١٧] .

لباس الملك المؤله

لقد صور سكان وادي الرافدين آلهتهم بأشكال بشرية على نماذج فنية عديدة مثل الدمى والتماثيل والمنحوتات البارزة والأختام الأسطوانية كما قاموا بتمييزهم عن البشر من خلال شارات خاصة بهم وهذه الشارات اتخذها بعض الملوك أو قلدوها ليتشبهوا بالآلهة أو ليحلوا محلهم منها :. ١ . الملابس : يكون ثوبه من نوع الكونكس (طيات أُفقية) وينتهي عند القدمين .

٢ . التاج المقرن : إذ ارتداه الملوك وهو خاص بالآلهة وتختلف التيجان بعدد القرون وخير مثال على ذلك ما ظهر في مسلة نرام . سين وفي تمثال بوزور عشتار وكان من نوع ذو القرنين ، علما بوجود عدة أنواع من التيجان المقرنة[١٨] .

وبالإضافة إلى الملك المؤله فهناك جوانب يمكن ذكرها بهذا الخصوص والتي تتمثل في : .

١ . الرموز والأرقام الخاصة بالإله و الذي يثبت بجانبه لتمييزه عن غيره ، وعلى ما يبدو لم يلتفت الملوك المؤلهين على هذه الطريقة لعدم العثور على مثل هذا باستثناء نقوش الأختام الأسطوانية حيث نقش رمز الإله سين (إله القمر) بجانب شخصية جالسة ومن المحتمل انه يمثل ملكا مؤلها .

٢ . يمكن الاستعانة بالأختام الأسطوانية لتمييز الملك المؤله وذلك من خلال تربعهم على عرش الإله عند استقباله المتشفعين وبذلك يحل محل كبار آلهة

المجمع اللاهوتي في استقبالهم إلا انه يختلف عنها في ثوبه ولباس رأسه وكرسي العرش الذي يتربع عليه .

٣ ـ حل الملوك محل الآلهة عندما تربعوا على العرش في الهيكل المستطيل في المعابد التي بنيت خصيصا لهم وخصصت لعبادتهم خصوصا ملوك سلالة اور الثالثة ولجش الثانية ، وذلك لاستقبال الزائرين[١٩] .

علاقة الزواج المقدس بفكرة التأليه

إن منشأ فكرة الزواج المقدس هو من العقيدة السومرية التي فحواها زواج إله الخصب دموزي (تموز) من إلهة الخصب انانا (عشتار) بعد علاقة حب نشأت بينهما ثم مأساة الإله دموزي بعد تسليمه من قبل حبيبته انانا إلى شياطين العالم السفلي ، وكان السومريون يعيدون وقائع ذلك الزواج الإلهي سنويا من خلال قيام ممثلو الآلهة من البشر كالملك أو الكاهن الأعظم بتقمص شخصية الزوج ـ الإله دموزي في حين تقوم الملكة أو الكاهنة بدور إلهة الخصب انانا في احتفال كبير يجري في نهاية السنة حيث اعتقد السومريون أن خصوبة بلادهم تعتمد عليه [٢٠] ،وأن هذا الطقس لم يتخذ شكله الواضح إلا في زمن الملك دموزي في حدود ٢٧٠٠ ق. م رابع ملوك سلالة الوركاء الأولى حسب رأي الأستاذ كريمر[٢١] الذي يعتقد أن الفكرة كانت بدعة أوجدها كهنة الوركاء بجعل ملكهم دموزي زوجا لألهتهم انانا التي كان مركز عبادتها مدينة الوركاء ، ونتيجة لهذا الزواج الطقسي أضفى عليه الكهنة صفة الألوهية وأصبح إلها في ذاكرة الأجيال على مر العصور ، ويورد الأستاذ الدكتور فاضل عبد الواحد علي إن من أهم الأسباب التي أوحت إلى الأستاذ كريمر بفرضيته القائلة بأن الإله دموزي كان ملكا بالأصل ما جاء على لسان الآلهة انانا قولها في أحد نصوص الزواج المقدس

(وأمعنت النظر في الناس كلهم ،
فاخترت من بينهم دموزي لألوهية البلاد ،
دموزي محبوب الإله انليل
انه من تعتز به أُمي دائما
ومن يجله أبي ...)[٢٢]

وهذا إشارة إلى دليل واضح على أن دموزي كان ملكا دنيويا وأنه رفع إلى مصاف الآلهة بعد أن وقع عليه اختيار الإلهة انانا ليكون زوجا لها .

لايوجد في الحقيقة دليل أكيد على أن كلمة دموزي في المقطع السابق تشير بالضرورة إلى دموزي ملك سلالة الوركاء ، كما انه ليس من المستبعد إطلاقا أن كلمة دموزي هنا تشير إلى ملك آخر أما أن يكون اسمه الحقيقي فقد في الجزء المخروم من الرقيم أو أنه لم يذكر أصلاً بل أكتفي بالإشارة غليه بكلمة دموزي التي أصبحت لقباً لأي ملك يقوم بدور الزوج الإلهي في طقوس الزواج المقدس ، فهناك حقيقة معروفة لدى الباحثين أن الملك مهما كان اسمه الحقيقي يصبح من خلال الطقوس الإله دموزي فينعت ويوصف بأسماء و أوصاف هذا الإله في الأناشيد والقصائد المؤلفة بالمناسبة ، فالملك شولجي ثاني ملوك سلالة اور الثالثة يوصف بأنه الراعي دموزي وثور الوحش وهي كلها من نعوت الإله دموزي وكذلك الملك شوسين رابع ملوك سلالة أور الثالثة إضافة إلى الملك ادن ـ دجان من سلالة أيسن ينعت بكلمة الإله في أنشودة سومرية للزواج المقدس ، وقد أضيفت إلى أسمائهم علامة الألوهية كما ذكرنا سابقا .

ويجب التمييز بين نوعين من الزواج المقدس

النوع الأول : وهو الأقدم ويمكن تسميته بالزواج الإلهي الذي يتعلق بزواج إله المدينة من إلهتها والأمثلة كثيرة على ذلك وترجع إلى زمن جوديا أمير مدينة لجش الذي يتحدث في أحد نصوصه عن زواج الإله ننجرسو إله مدينة لجش من الإلهة باو وزواج الإله ننا من الإلهة ننجال في اور ، والإله آنو من الإلهة انتو في الوركاء ... الخ .

النوع الثاني : هو صورة تقليدية للأول أو ما يسمى بالزواج المقدس الذي كان يقوم الملك من خلاله بدور الزوج . الإله بينما كانت تقوم الكاهنة بدور الزوجة . الإلهة .

وان اختيار الزوج الذي كان يقوم بدور الإله يتم من قبل الآلهة كما حدث بالنسبة لجلجامش عندما عرضت عليه انانا الزواج المقدس منها .

ولكن السؤال الذي يمكن طرحه هل أن كل ملك أو كاهن أعظم يتقمص شخصية الإله في عملية الزواج المقدس يصبح ملكا مؤلها أم أن قدسيته تنتهي بانتهاء مهمته ؟

نعتقد احتمالية أن الملك حين قيامه بعملية الزواج المقدس يكتسب مسحة من القدسية والتأليه ليتناسب مركزه والعملية التي يقوم بها ولكنه لا يصبح ملكا مؤلها ، ولكن الشخص الذي يكون ثمرة هذا الزواج الذي يتم بين الملك والكاهنة هو الذي يصبح ملكا مؤلها أي أنه ابناً لأبوين إلهين والأمثلة على ذلك ذكرت آنفاً .

الملك المؤله من خلال الأختام الأسطوانية

لقد تم العثور على أعداد كبيرة من الختام الأسطوانية ابتداء من فترة الانبعاث السومري . الاكدي من زمن جوديا واورنمو وغيرهم من الملوك الآخرين وكذلك في عصر دويلات المدن في العصر البابلي القديم والذي تمثلت عموما بتقديم متعبد إلى ملك مؤله عن طريق وسيط يقوم بعملية التقديم ، كما هو معلوم وذكرناه آنفا ، إن ما يميز الإله عن البشر هو التاج المقرن و ثوب الكونكس الذي يرتديه وهذا يظهر أيضا على الأختام الأسطوانية ، ونجد على هذه الأختام أن الشخص الجالس الذي يقوم باستقبال المتعبد يضع على رأسه تاجا مقرنا فقط أو يرتدي ثوب الكونكس فقط وهذا يعني أن الشخص الجالس هو ملكا مؤلها وليس إلها ويمكن ملاحظة ذلك من خلال مجموعة الأختام التالية : .

ختم رقم (١)[٢٢]

المادة : حجر الستيتايت الأسود

القياس: ٢٥ × ١٣ سم

الزمن : عصر سلالة اور الثالثة

الوصف : متعبد حليق الرأس ، تقوده إلهة وسيطة ترتدي رداء الآلهة (الكونكس) وتضع على رأسها تاجا مقرنا وتتوسط بين المتعبد وبين الشخص الجالس على كرسي يكسوه الفرو وهو يرتدي رداء مشابها لرداء الشخص المتعبد ويضع على رأسه ما يشبه العمامة ويحمل بيده اليمنى قدحا ، وهناك في الختم عناصر ثانوية منها عقربا بين المتعبد والإلهة التي تقوده وهلالا يحيط بقرص ونجمة وأخيرا نصا من الكتابة المسمارية .

ختم رقم (٢)[٢٣]

المادة : المعدن

القياس : ٢,٤ × ١,٤

الزمن : عصر سلالة اور الثالثة

الوصف : آلهة وسيطة ترتدي رداء من نوع الكونكس وعلى رأسها تاجا مقرنا ، ترفع يدها اليسرى إلى الأعلى وتقود متعبد يقف خلفها من الأمام حتى

منطقة الخصر رافعا يده اليمنى إلى الأعلى وكلاهما يتقدمان في حضرة شخص جالس يرتدى رداء يشبه ملابس الآلهة وعلى رأسه ما يشبه العمامة وله لحية طويلة وهو يرفع بيده اليمنى قدحا وفي نهاية الختم نص بالخط المسماري .

ختم رقم (٣)[٢٤]

المادة : حجر اللازورد

القياس : ٢,٢٨ × ١,٥

الزمن : عصر سلالة اور الثالثة

الوصف : طبعة ختم عليها مشهد ا يمثل إلهة ثانوية وعلى رأسها تاج مقرن وترتدي رداء من نوع الكونكس ، ترفع يدها اليسرى إلى الأعلى بوضعية أداء التحية وتتوسط متعبدين ، فالذي أمامها يرتدي رداء طويلا وعلى رأسه ما يشبه القبعة ويضع كلتا يديه على بطنه أما الذي خلفها فتمسكه بيدها اليسرى وعلى رأسه مشابه للذي على رأس الأول وجميعهم يتقدمون في حضرة شخص جالس يرتدي رداء الآلهة (الكونكس) وعلى رأسها ما يشبه العمامة ويرفع بيده اليمنى قدحا ، وهناك عنصر ثانوي بين الشخص الجالس المتعبد قوامه نجمة داخل قرص يحيطها هلال وفي نهاية الطبعة وأمام الشخص الجالس كتابة بالخط المسماري .

ختم رقم (٤)[٢٥]

المادة : حجر الدم (الهمتايت)

القياس : ٢,١ × ١,٢ سم

الزمن : العصر البابلي القديم

الوصف : متعبد تقوده إلهة وسيطة ترتدي رداء طويلا من نوع البليسه وتاج مقرن و تسحبه بيدها اليمنى من يده اليسرى محيية شخصا جالسا على كرسي بدون مسند ويرتدي رداءً طويلاً مشابهاً لرداء المتعبد وكذلك القبعة إلا أنها غير محززة ويحمل بيده اليمنى قدحاً ، وفي الختم عناصر ثانوية منها الهلال في الأعلى وأسفله شخص راقص وهما بين الشخص الجالس والإلهة الوسيطة والمتعبد وأخيرا هناك كتابة بالمسماري خلف الشخص الجالس .

ختم رقم (٥)[٢٦]

المادة : حجر الدم (الهماتيت)

القياس : ٢,٦ × ١,٤ سم

الزمن : العصر البابلي القديم

الوصف : شخص ملتحٍ ، جالس على كرسي بدون مسند يكسوه الفرو ويرتدي رداءً طويلاً يكشف عن كتفه الأيمن وعلى رأسه ما يشبه العمامة ويحمل بيده اليمنى قدحاً ويتقدم باتجاهه متعبد حليق الرأس ويرتدي رداءً مماثلاً للذي يرتديه الشخص الجالس وتقدمه إلهة وسيطة ترتدي لباساً من نوع الكونكس وتاج مقرن وترفع كلتا يديها إلى الأعلى في حالة الدعاء وتقف خلف المتعبد ، وتنتشر على سطح الختم عناصر ثانوية منها الهلال أمام الشخص الجالس في الأعلى ، وفي الأسفل قرد جالس ، كما توجد الكرة الملتصقة بالعصا بين المتعبد والإلهة الوسيطة و أخيرا هناك كتابة مسمارية خلف الشخص الجالس .

ختم رقم (٦)[٢٧]

المادة : حجر الدم (الهماتيت)

القياس : ٢,٧ × ١,٥سم

الزمن : العصر البابلي القديم

الوصف : شخص جالس على كرسي بدون متكأ يكسوه الفرو وهو ملتحٍ ويرتدي رداءً طويلاً وعلى رأسه ما يشبه العمامة ويحمل بيده اليمنى قدحاً ، يقف في حضرته متعبداً حليق الرأس يرتدي رداءً مشابهاً لرداء الشخص الجالس واضعاً كلتا يديه على صدره تقدمه إلهة وسيطة ترتدي رداءً من نوع الكونكس

وتاجا ذو قرنين رافعة يديها إلى الأعلى متضرعة ، وخلف الآلهة الوسيطة مشهداً لبطل يصارع حيوان ذو قرون أشاح برأسه إلى الخلف ، وتنتشر على سطح الختم عناصر ثانوية منها نجمة محددة بقرص في داخله هلال من الأعلى وتحته شكل حيواني وخلف الشخص الجالس هناك ثلاث كرات مدورة وبين المتعبد والإلهة الوسيطة في الأعلى هنالك جرة وأسفلها الكرة الملتصقة بالعصا .

ختم رقم (٧) [٢٨]

المادة : حجر الدم (الهماتيت)

القياس : ٢,٣ × ١,٣ سم

الزمن : العصر البابلي القديم

الوصف : إله الجو يقف على ظهر حيوان واضعاً على رأسه قبعة مخروطية ورافعاً يده اليمنى إلى الأعلى وممسكاً عصا بيده اليسرى ، يقف أمامه متعبدين يرتدي الأول رداءً طويلاً مفتوحاً من الأمام وهو يكشف عن ساقه الأيسر وعلى رأسه ما يشبه الخوذة وهي نصف كروية ويرفع يده اليمنى إلى الأعلى بينما وضع يده اليسرى على بطنه ، والثاني حليق الرأس ويرتدي رداءً طويلاً محززاً غير مفتوح يكشف عن كتفه الأيمن ويضع كلتا يديه على بطنه وكلاهما يتقدمان أمام إله الجو باتجاه شخص جالس على كرسي بدون مسند يكسوه الفرو يرتدي رداءً طويلاً محززاً وهو ملتحٍ وعلى رأسه ما يشبه العمامة يحمل بيده اليمنى قدحاً ، وعلى الختم عناصر ثانوية منهالا نجمة بين إله الجو والمتعبد ، وهلال بين الملك والمتعبد الثاني وفي أسفله قرد جالس على عصا باتجاه الملك .

ختم رقم (٨) [٢٩]

المادة المعدن

القياس : ٢,٧ × ١,٦ سم

الزمن : العصر البابلي القديم

الوصف : آلهة وسيطة ترتدي رداءً من نوع الكونكس وتاجاً له قرنان وهي ترفع كلتا يديها إلى الأعلى وتقوم بتقديم متعبد حليق الرأس مرتدياً رداءً طويلاً يكشف عن كتفه الأيمن ويضع يديه على صدره في حضرة شخص ملتحٍ جالس على كرسي يرتدى رداءً مشابها لرداء المتعبد ويضع على رأسه ما يشبه العمامة ويحمل بيده اليمنى قدحاً ، وخلف الإلهة الشفيعة شخصاً آخر يضع على رأسه ما يشبه الخوذة ويرتدي رداءً قصيراً محززاً طوليا يحيط بخصره نطاق ، ويحمل بيده اليمنى سيفا وباليسرى ما يشبه الفأس ويطأ آخر سقط على الأرض وقد رفع يده اليمنى علامة الاستسلام ، وهناك عنصرين ثانويين هما الهلال أمام هذا الشخص المحارب وهلال آخر يحيط بقرص يضم داخله نجمة أمام الشخص الجالس .

الختم رقم (٩) [٣٠]

المادة : حجر الدم (هماتيت)

القياس : ٢,٣ × ١,٤ سم

الزمن : العصر البابلي القديم

الوصف : الملك المؤله في حالة الجلوس ، ويقف أمامه متعبد يعقبه إله يرفع كلتا يديه إلى الأعلى . وبالإضافة إلى الرسوم الصغيرة المنتشرة بين عناصر المشهد الرئيسية ، مثل القرد الجالس والشمس والهلال والسلحفاة ، يوجد مشهد ثانوي يتمثل بمشهد صراع البطل مع الأسد المجنح .

الاستنتاجات

لقد ابتدع بعض الملوك صفة التأليه ، وهذا لا يعني شمولية كل ملوك عصر معين من العصور وإنما اختصر على بضعة ملوك حكموا في فترات متفرقة خصوا أنفسهم بصفة التأليه ، وبالرغم من الغموض

التاريخي الذي يكتنف فكرة التأليه إلا أن هناك احتمالات عديدة يمكن استنتاجها من سير الأحداث التاريخية في وادي الرافدين وكما يلي : .

١ . من سمات الديانة في وادي الرافدين سمة التشبيه أي أن الآلهة كالبشر في جميع صفاتها باستثناء انفرادها بصفة الخلود ،وأنها قدرت الموت على البشر ، وكرد فعل على ذلك وخوف الكثير من ملوك وادي الرافدين من هذا الفناء المحتوم الذي ينتظرهم مهما وصلوا من القوة والتعاظم حتى لقد حاول بعضهم ومنهم الملك جلجامش خامس ملوك سلالة الوركاء الأولى في البحث عن الخلود ، وهذا من المحتمل أن الملوك حاولوا بذلك التأليه اكتساب تلك الصفة ألا وهي الألوهية والمتمثلة بالخلود .

٢ . يمكن تفسير أسباب التأليه كدليل على العظمة والوحدة السياسية واتساع رقعة الإمبراطورية كما حدث في عهد الإمبراطورية الاكدية حيث اتخذ ملوكها لقبا جديدا هو ملك الجهات الأربعة وهذا اللقب بالإضافة إلى كونه مظهرا من مظاهر اتساع السلطة وازدياد رفعة المملكة ذو مدلول ديني لتثبيت السلطان السياسي ، فقد كان هذا لقبا خاصا ببعض الآلهة العظام مثل انو و انليل و شمش بصفتهم أسياد الخليقة والكون وباتخاذ الملوك الاكديين ومن ثم الملوك السومريين في العهد السومري الحديث هذا اللقب صاروا ممثلين لهؤلاء الآلهة في حكم العالم سعيا لتثبيت سلطانهم وطاعتهم .

٣ . إرجاع أسباب التأليه إلى ما يصيب بعض الملوك وهم في أوج قوتهم وازدهار حكمهم واتساع حدود مملكتهم من غرور ، ومهما أضفوا على حكمهم من مظاهر الأبهة والعظمة فهذا لا يكفي لإبراز ما وصلوا إليه ، مثل الملك الاكدي نرام . سن الذي ورث إمبراطورية واسعة من جده سرجون الاكدي وأضاف إليها مناطق أخرى وأخضع أقوام كثيرة وحافظ على حدود تلك ، إلا انه لم يتراجع من جعل نفسه في مستوى الآلهة ، وبما أن سكان وادي الرافدين ميزوا آلهتهم بالتاج المقرن فلذلك ارتداه نرام . سن في مسلته .

٤ . لأسباب سياسية من المحتمل أن ملوك سلالة اور الثالثة ألهوا أنفسهم واستعملوا لقب ملك الجهات الاربعة ايضا وذلك تجسيدا لفكرة الحكم السومري القديمة كرد فعل لاحيائها نتيجة لما وصلت إليه الامبراطورية الاكدية العالمية المتداعية وأضافوا اليها ظاهرة التاليه التي بدأها نرام . سن من قبل في العصر الاكدي ولانهم ورثوا التركة السياسية لحكام العالم وهم الملوك الاكديين بالرغم من أن أوضاعهم أضعف من أن تتحمل ذلك العبىء الثقيل ، وبناء على ذلك فقد تجنبوا تمثيل أنفسهم على المنحوتات والنقوش وهم يرتدون التاج المقرن أو الثوب الخاص بالآلهة (الكونكس) كما فعل ذلك الملك نرام . سن ، خصوصا وأن التاج المقرن وثوب الآلهة كانا شعار الآلهة في العصر السومري القديم ، إلا انهم اكتفوا فقط بإضافة العلامة الدالة على الالوهية أمام أسمائهم ، كما ابتنوا المعابد لأنفسهم وعينوا لها الكهنة لأدارتها وكأنهم من آلهة الدولة .

٥ . الزواج المقدس الذي تم بين إله وإلهة من آلهة الخصب ويؤدى من قبل الملك أو الحاكم الذي يمثل بشكل رمزي دور الإله مع الكاهنة العليا التي تقوم هي الاخرى بدور إلهة الخصب ، فمن المحتمل أن يكتسب الملك الذي يقوم بهذا الدور مسحة من التقديس والتآليه وأن ثمرة هذا الزواج المقدس يكون إبنا يكتسب صفة الالوهية ويصبح ملكا مؤلها عند

استلامه امور حكم البلاد ، وقد ذكرنا آنفا على سبيل المثال الامير جوديا أحد أمراء سلالة لجش الثانية الذي يذكر بأنه ولد في المعبد وأنه ابن الكتهنة كاتومدوك .

٦ . نستنتج من خلال متابعة المنحوتات بنوعيها المدورة والبارزة ومجموعة مختارة من الاختام الاسطوانية وطبعاتها العائدة لعصر سلالة اور الثالثة والعصر البابلي القديم مايلي :

أ . يتكرر موضوع الشخص الجالس على العرش في مجلس الإله مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن الشخص الجالس على الكرسي و الذي يؤتدي بشكل جزئي من رموز الالهة ملكا وليس إله وان هذا الاعتقاد مبني على استقباله للمتشفعين أو المتعبدين بدلا من الالهة وبذلك نجد بعض صفات الالهة قد اجتمعت بذلك الشخص .

ب . أن موضوع تقديم المتعبد من قبل آلهة وسيطه إلى الملك الجالس شاعت فقط في مواضيع أختام العصر السومري الحديث وأختام العصر البابلي القديم .

جـ . دون الملوك الذين ألهوا أنفسهم العلامة الدالة على الالوهية أمام أسماؤهم ومثلوا أنفسهم على المنحوتات مرتدين أحد شعارات الآلهة فقط لأن ارتداء الشعارين رداء الكونكس والتاج المقرن من حق آلهة الدولة فقط .

الهوامش :

(١) مورتكات ، أنطوان : تاريخ الشرق الأدنى القديم ، تعريب توفيق سليمان وآخرون . دمشق ١٩٦٧ ، ص ١٢٠

(٢) باقر ، طه : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة . بغداد ١٩٧٣ . ص ٣٦٧ فما بعدها .

(٣) مورتكات ، انطوان : مصدر سابق ، ص ٥٣ .

(٤) باقر ، طه : مصدر سابق ، ص ١٠٢ .

(٥) كسار ، اكرم محمد عبد : فخار عصر فجر السلالات في ضوء آخر المكتشفات الأثرية (رسالة دكتوراه غير منشورة) ص ١٢ .

(٦) مورتكات ، انطوان : الفن في العراق القديم ، ترجمة د . عيسى سلمان وسليم طه التكريتي . بغداد ١٩٧٥ ، ص ١١٠ .

(٧) كسار ، اكرم محمد عبد : مصدر سابق ، ص ١٢ .

(٨) Jackbson , T . The Sumerian King List , London 1909 , p . 89 .

(٩) النعيمي ، راجحه : الأعياد في حضارة بلاد وادي الرافدين (رسالة ماجستير غير منشورة) ص ١٤٠.

(١٠) باقر ،طه : مصدر سابق ، ص ٣٦٧ .

(١١) النعيمي راجحه : مصدر سابق ، ص ١٥٧ .

(١٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

(١٣) نفس المصدر السابق ، ١٥٧ .

(١٤) Wiseman , D . J . Cylinder Seal Western Asia . London 1962 , pp. 29 – 30 .

(١٥) باقر ، طه : مصدر سابق ، ص ٣٨٦ .

(١٦) مورتكات ، انطوان : الفن في العراق القديم ، ص ١٢٠ . ١٢١ .

(١٧) باقر ، طه : مصدر سابق ، ص ٤٢٢ .

(١٨) الجادر ، د . وليد : الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر . بغداد ١٩٧٢ ، ص ٢٥٧ .

(١٩) مورتكات ، انطوان : تاريخ الشرق الأدنى ، ص ١٢٠ ـ ١٢١ .

(٢٠) علي ،د. فاضل عبد الواحد : عشتار ومأساة تموز . بغداد ١٩٧٣ ، ص ١٣٦ .

(٢١) Kramer, S.N. The Sacred Marrige Rite . Indiuna University Press ,1969 , pp. 53 – 54 .

(٢٢) علي ، د. فاضل عبد الواحد : مصدر سابق ، ص ١٣٧ .

(٢٢) Porada , E . Mesopotamian Art in Cylinder Seals of The pierpont Morgan Library . New York 1947 < 292E .

(٢٣) Moortgat , D.A. Vorderasiatsche Rollsiegel , ein beitrag zur geschichte der steinsch nedekunst ,Berlin , Gebr ,Maan ,1940 , 253 .

(٢٤) Ibid ,254.

(٢٥) Porada . op.cit. 302 .

(٢٦) Ibid. 315E .

(٢٧) Ibid .320E .

(٢٨) Ibid. 331E .

(٢٩) Moortgat , Op.cit. 292 .

(٣٠) د. صبحي أنور رشيد: تاريخ الفن في العراق القديم ، الجزء الأول ، فن الأختام الاسطوانية . بيروت (بلاتاريخ الطبع) لوحه ٢٧: ٩٨.

المصادر:

ـ باقر ، طه : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة . بغداد ١٩٧٣ .

ـ الجادر ، د . وليد : الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر . بغداد ١٩٧٢.

ـ علي ،د. فاضل عبد الواحد : عشتار ومأساة تموز . بغداد ١٩٧٣.

ـ كسار ، اكرم محمد عبد : فخار عصر فجر السلالات في ضوء آخر المكتشفات الأثرية (رسالة دكتوراه غير منشورة)

ـ مورتكات ، أنطوان : تاريخ الشرق الأدنى القديم ، تعريب توفيق سليمان وآخرون . دمشق ١٩٦٧.

ـ مورتكات ، انطوان : الفن في العراق القديم ، ترجمة د . عيسى سلمان وسليم طه التكريتي . بغداد ١٩٧٥.

ـ النعيمي ، راجحه : الأعياد في حضارة بلاد وادي الرافدين (رسالة ماجستير غير منشورة).

- Kramer, S.N. The Sacred Marrige Rite . Indiuna University Press ,1969.

-Moortgat , D.A. Vorderasiatsche Rollsiegel , ein beitrag zur geschichte der steinsch nedekunst ,Berlin , Gebr ,Maan ,1940٠.

-Jackbson , T . The Sumerian King List , London 1909.

-Porada , E . Mesopotamian Art in Cylinder Seals of The pierpont Morgan Library . New York 1947.

-Wiseman , D . J . Cylinder Seal Western Asia . London 1962.

« The Idolized King in the Mesopotamia Culture »

This paper is concerned with the notion of the idolized king in the Mesopotamia culture which represents an important aspect during the period from the third century before Christ . The idolization of the king by ancient Iraqi people emanated from authentic mythic , social and religions foundations which had an organic relation to the history and heritage of this country both intellectual and material .